انواع النسيب

والتشبيب في شعر العرب

لعبد الرحمن شكري

ربما كان من المستحسن ان نميز في الاسماء والمصطلحات انواعاً من النسيب تختلف في طريقتها وأثرها في النفس وقد لا يوافقني على هذا التقسيم بعض الادباء ولكني اراه يوضح الخلط في الكلام عن الشعر والشعراء وأراه يسهل تذوق طريقة كل منهم وفهم اسلوب فنه

فالنسيب في الشعر أقسام فمنه ما كان مصدره العشق ومنهُ نسيب الوجدان من غير عشق خاص ومنهُ نسيب الصوفية ونسيب التمثيل او القصص التمثيلية ومنهُ نسيب المحاكاة والصناعة الزخرفية ومنهُ النسيب المشوب بالمجون وهناك انواع اخرى بين بين لانها تجمع بين طريقتين او اكثر وأبعد انواع النسيب هي ما بعدت في هذا الترتيب وأقربها ما اقتربت فيه وقد يجمع الشاعر بين المتقاربين كما قد يخلط الناقد بينهما في حكمه فقد يخلط الناقد بين نسيب العشق ونسيب الوجدان لان الاول جزء من الثاني وهو وجدان متعلق بانسان جميل وقد يخلط بين نسيب الوجدان ونسيب التمثيل لان الشاعر اذا مثّل العاطفة في شخصه او في شخص في قصة لابد ان يكون لهُ من الوجدان الصافي ما يساعد بصيرته الفنية في اتقان ذلك التمثيل ولكن نسيب الوجدان هو شعر قد لا يراد به تمثيل العاطفة وانما قد يأتي من الشاعر عفواً كما يصدح الطائر الفريد فهو قد لا يدل على التعلق بانسان معين وقد لا يدل على تمثيل العاطفة تمثيلاً يأتي به مزاج مؤلف القصص التمثيلية او مزاج الفنان الممثل . وقد يخلط الناقد بين نسيب الوجدان ونسيب الصوفية لان نسيب الصوفية يستمد من الوجدان ولكن الحقيقة ان نسيب الصوفية يجمع اخلاطاً كثيرة من الاحاسيس اما في قصيدة واحدة واما في قصائد مختلفة او شعراء مختلفين فتراه يستمد من إحساس العبادة وقد يكون خلال المعبود فيه غالباً لجمال المحبوب وقد يكون العكس وقد ترى في بعض غزل الصوفية قدرة الفنان الممثل للعاطفة وقد تراه يستمد من الصناعة الزخرفية وقد تختلط فيه الافكار وتهوش اذا حاول الشاعر التوفيق بين امور الحياة والكون المتناقضة توفيقاً

لا يفتحه الفكر المنعم. وقد ترى بعض المجون او ما يشبهُ المجون فيه من ذكر محاسن اعضاء الجسم والوصال واللذات والمنى والريق والخمر ويؤول كل ذلك تأويلاً قدسيًّا والحقيقة المعروفة في علم النفس ان الشهوة الجنسية الحقة قد تجد لها منفذاً بهذه الوسيلة عن طريق التعبد . وقد يكون الشاعر الصوفي المكين صادقاً في تعبده وقد يكون آخر من يفطن الى حقيقة عالم النفس هذه

وكذلك قد يجتمع شعر المحاكاة والزخارف وشعر المجون من غير ان يخالطها وجدان او عبادة صوفية . وقد يخلط الناقد بين نسيب المزاج التمثيلي وبين نسيب المحاكاة والزخارف لان الشاعر الذي ينظم النوع الثاني يتدعّي العاطفة او يدعي وصفها ولكنهُ قد تعوزه بصيرة الفنان النافذة الى اعماق النفوس كما يعوزه الوجدان الرقيق الصافي الذي يساعد البصيرة النفسية (السيكولوجية) فاذا اعوزه الوجدان العميق الصافي واعوزتهُ البصيرة السيكولوجية كان نسيبه من نوع شعر المحاكاة والزخارف لا من نوع النسيب التمثيلي الذي نراه في القصص التمثيلية وفيما يلحو نحاها وفيما من شعر غير القصص التمثيلية وكما نراه في شعر الشاعر الذي أتيح له مزاج الممثل الذي يمثل العاطفة فتملكه العاطفة وقت تمثيلها

وهذه الاقسام التي ميزناها في شعر النسيب ليست خاصّة كل منها بعصر في الجاهلية وصدر الاسلام نرى نسيب الشوق في شعر العذريين ونرى نسيب الوجدان اذا لم يتعلق الشاعر الناسب بانسان معين وانما يفيض بوجدانه المتعلق بالجمال ويصدح بحنينه ويغني بانغامه ونرى نسيباً يقرب من نسيب الصوفية وان كان سببه ان فرط الحب أكسب الحب شيئاً من احاسيس العبادة بينما نرى ان العبادة في شعر الصوفيين كانت وسيلة لارضاء عاطفة الحب . ونرى في ذلك العصر ايضاً شعر النسيب التمثيلي الذي يدل على بصيرة فنية بسيكولوجية تنظم شعراً يمثل نسيب الشوق او نسيب الوجدان المحض الذين لا يهمها الفن والصنعة ، ونرى ايضاً نسيب المحاكاة التي تفيض فيها العاطفة وقد يجمع الشاعر الى محاكاة الصنعة وصف الذات او المجون فنسيب امرئ القيس نسيب المحاكاة والصنعة . وقد يرق ويلطف ويدل على وجدان وعلى تعلق بانسان جميل من غير ان يكون هذا التعلق عشقاً كما كان عشقاً عميقاً عند قيس بن الملوح او قيس بن ذريح فاذا رق شعر امرئ القيس وقارب شعر العاطفة والوجدان قال في وصف حبيبته : —

تُضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب مُتبتّل .

ولكن اكثر نسيبه نسيب صنعة ووصف للذات . وكذلك نسيب مشهوري الشعراء في ذلك العصر أمثال الاعشى والنابغة وزهير بن ابي سلمى وكعب بن زهير وطرفة بن العبد وغيرهم وهم الذين سنوا سنة غزل المحاكاة لشعراء الدولة الاموية ومحاكاة المحاكاة للعباسيين والمتأخرين وكان البيت الغزلي يزداد كلما بعد العهد بمن سنّ هذه السنة في صناعة الشعر . وقد فطن جرير في عهد

الدولة الاموية الى ان الصناعة وحدها لا تيسّر شعراً ولا تجعله يأخذ بمجامع القلوب فصار يخلط بين تمثيل العاطفة او محاكاتها وبين الوجدان . ومن أجل ذلك كان شعره أرق وأسير في عهده من شعر الشعراء المتأخرين له

ولكنا اذا أردنا ان نجمع مجموعة من شعر النسيب في اللغة العربية نفاخر بها اللغات الاخرى لم نلجأ الى شعر امرئ القيس او الاعشى او أمثالهم ولا الى شعر جرير والاخطل والفرزدق وامثالهم ولا الى شعر ابي نواس ومسلم بن الوليد وابي تمام والبحتري وامثالهم فان هؤلاء امتازوا بالقول في أبواب مختلفة من الشعر ولكن يُرى في النسيب قيس بن الملوح وقيس بن ذريح وأبو صخر الهذلي وعروة بن حزام وابن الدمينة وجميل بن معمر وكثيّر على قلة ما انتهى الينا من اقوال هؤلاء . وهؤلاء هم الذين قالوا أحسن ما قيل في النسيب في اللغة العربية وبهم تفاخر وهم الذين يرشح لينوبوا عن النسيب العربي في معرض النسيب بين الامم . انظر مثلاً الى قول قيس بن الملوح من قصيدة في التذكر والتمني وهما موضوعان هامان من موضوعات النسيب قال : —

فوالله ما انساك ما هبت الصبا وما غرّد الطيرُ الغريبُ في وضح الفجر
وما لاح نجم في السماء وما بكت مطوّقةٌ شوقاً على فنن الدر
وما طلعت شمس لدى كل شارق وما هطلت سحب على واضح الزهر

الى ان قال : —

تداويت من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
اذا ذُكرت يرتاح قلبي لذكرها كما انتفض العصفور من بلل القطر
ألا ليتنا كنا غزالين نرتعي رياضاً من الجوزاء في بلد قفر
ألا ليتنا كنا حمام مفازة نطير ونأوي بالعشيّ الى وكر

واستمر في ذكر أمانيه المختلفة الى ان قال : —

وداعٍ دعا اذ نحن بالخيف من منى فهيّج إطراب الفؤاد ولا يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

فهذا الشعر ليس فيه روعة الصنعة التي في غزل أصحاب المعلقات ولكنهُ شعر صادق دافق من القلب يدل على أن قائله شاعر بطبعه وخياله ووجدانه ويدل على عاطفة صادقة تأخذ المألوف من مظاهر الكون والخليقة من تغريد الطيور في وضح الفجر ومن هبوب النسيم وهطول المطر ونضرة الزهر وانتفاض العصفور والحمام في الوكر والغزال في القفر كي تعبر بها عن ذكريات القلب وأمانيه وهذه الوسائل التي تستخدمها والتشبيهات هي الوان مادة الشاعر فليس كل شعر يحتويها

بشعر كان ليست كل صورة ذات الوان بصورة . وانما العاطفة هي التي تجعلها شعراً . وانظر الى قول قيس بن الملوح ايضاً : —

واحبس عنك النفس والنفس صبة بذكراك والسعى اليك قريب
مخافة ان تسعى الوشاة بنظة وأحرسكم ان يسترب مريب
سأستعطف الايام فيك لعلها يوم سرور من هواك تؤوب

وقوله: — فاصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

وقوله: — الله يعلم أن النفس هالكة باليأس منك ولكني أمنيها
وسلعة منك ألهوها وإن قصرت أشهى لديَّ من الدنيا وما فيها

وقوله: — وكنت كذبّاح العصافير دائباً وعياه من وجدٍ عليهنَّ نهمل
فلا تنظري ليلى الى العين وانظري الى الكف ماذا بالعصافير تفعل

وهو لا يعني كل ذبح للعصافير وانما هو فرض كي يتمثل معنى فعل الحب به وانظر الى قوله في قصيدته الميمية الكبيرة :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
وخبرتماني ان تيماء منزل ليلى اذا ما الصيف القى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قصرت فما للنوى ترمي بليلى المراميا
وما طلع النجم الذي يهتدى به ولا الصبح الا هيّجا ذكرها ليا
اعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهراً لا أعد الياليا
يقولون ليلى بالعراق مريضة فياليتني كنت الطبيب المداويا
ولم أرَ مثلينا خليلين غربة أشد على رغم العداة تصافيا
خليلان لا نرجو لقاه ولا نرى خليلين الا يرجوان التلاقيا
واني لأستحيك ان تعرض المنى بوصلك او ان تعرضي في الدجى ليا
وأنت التي ان شئت أشقيت عيشتي وأنت التي ان شئت ألهيت باليا
واني ليغشى لقاؤك كلما لقيتك يوماً ان ابتك ما يا
اذا سرت في ارض خلاء وجدتني اصانع رجلي أنَّ ليلى حذائيا
يميناً اذا كانت يميناً وان تكن شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا
واني لاستغني وما بيَ غنية لعل خيالاً منك يلقى خياليا
هي السحر لولا ان للسحر رقية واني لا القى لها الدهر واقيا

لا اظن اي شاعراً يستطيع ان يميز الشعر الصادق يقول كما قال بعض الكتاب ان شعر قيس

ابن اللوح من وضع الرواة وان نبياً هذا لم يكن له وجود نحن نفهم هذا القول لو كان الشعر نثراً او بارداً او كاذباً او مصطنعاً (١) يستطيع ان يقوله كل انسان اما ان يصنع الرواة شعراً من أصدق وأحسن ما قيل في اللغة العربية من النسيب فهذا رأي لا نستطيع الأخذ به وأما ان بعض ابيات الشاعر نسبت الى اكثر من شاعر فهذا لا يدل على شيء وانه مثيل في كل عصر. وهذا شعر ابي تمام فيه ابيات وقصائد منسوبة الى شعراء آخرين وهذا لا يدل على ان ابا تمام لم ينظم شعراً ولم يكن له وجود وظاهرة انكار الوجود هذه ظاهرة مألوفة فقد انكروا وجود هومير وشكسبير. وهناك مؤلف مؤرخ ينكر وجود سيدنا عيسى عليه السلام وقد اختلف الرواة في نسبة شعر كثير فاختلفوا في نسبة قصيدة (صاح في العاشقين يا لكنانه) وفيها البيت المشهور

خطرات النسيم تجرح خدّيه ولمس الحرير يدمي بنانه

وهي ليست من شعر المتقدمين حتى يقال ان قدم الزمن هو الذي انسى الرواة ولم يقل احد انها من صنع الرواة انفسهم واختلفوا في نسبة شعر كثير لمتأخرين كقصيدة :

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب انبك ان التقصي وانتهى الطلب

فنسبت لابن اخيمي ونسبت لنجم الدين بن اسرائيل. واختلاف الرواة في نسبة بعض شعر قيس بن الملوح لا يدل على شيء فان شعره يدل على شخصية حية وعلى شاعر من الطراز الاول. وشذه في تلك الخصائص وفي تلك المنزلة قيس بن ذريح انظر الى قوله : —

لقد كان فيها للامانة موضع وللنفس مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان ري بحسنها وللجرح الحتان خمر ومسكر
كأني لها ارجوحة بين أجبل اذا ذكرة منها على القلب تخطر

وقوله: — احبك أصنافاً من الحب لم أجد لها مثلاً في سائر الناس يوصف
فمنهنّ حب للحبيب ورحمة لمرفقي منها بما يتكلف
وحب بدا بالجسم واللون ظاهر وحبٌ لدى نفسي من النفس ألطف

والى قوله : —

تعلق حبي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً وليس اذا متنا بمنصرم العهد
ولكنهُ باقٍ على كل حادث وزائرنا في وحشة الموت واللحد

وقوله: — اذا طلعت شمس النهار فسلمي فانية تسليمي عليك طلوعها

(١) مثل ذلك اذا قارن القارىء المتذوق معلقة عنترة العبسي (وهي لا شك من شعر شاعر) وبعض القصائد الفاترة الركيكة التي تنسب لعنترة سهل عليه تمييز الشعر الصادق والشعر الموضوع

وقوله: — بلبى أنادي عند اون غشية ويثني بها إلداعيها أنيق
صبرحي اذا ماذرّت الشمس ذكرها وفي ذكرها عند المساء غوق

وقد كان من رأينا دائماً ان شعر العاطفة والوجدان يتقارب في جميع اللغات وانما الذي يتباعد في اللغات شعر الصنعة والمحاكاة بالصنعة لأن هذا أساسهُ العرف والاصطلاح والذوق الاقليمي. أما شعر العاطفة والوجدان فهو واحد في كل إقليم وانك لو نقلت الشعر الذي استشهدنا به من شعر قيس بن الملوح أو قيس بن ذريح الى اللغات الأوربية لطرب لهُ القراء كما يطرب قراء العربية اذا نقل اليها شعر العاطفة والوجدان من اللغات الاوربية نقلاً صحيحاً لا سخيفاً.

ويقارب قيس بن الملوح وقيس بن ذريح في طريقتها يزيد بن الطثرية الذي يقول: —

برغمي أطيل الصد عنها اذا بدت أحاذر أسماعاً عليها وأعينا
أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ويقول: أحبك أطراف النهار بشاشة وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
أجبك حب اليأس لو ينفع الهوى وإن لم يكن لي من هواك طبيب

ويقول: بنفسي من لو مرَّ يردُ بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هائمي في كل شيء وهمته فما هو يعطيني ولا أنا سائله

ويقول: أليس قليلاً نظرة إن نظرتها اليك وكلا ليس منك قليل
فيا خلة النفس التي ليس فوقها لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يُطّلع به عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام اشتكي غربة النوى وخوف العدا فيه اليه سبيل
وكنت اذا ما جئتُ جئت بحاجة فأنيت علاني فكيف أقول

ومثل هذا الشعر في صدق التعبير عن الأحاسيس النفسية شعر أبي صخر الهذلي الذي يقول:

لقد كنت آتيها وفي النفس هجرها بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر
فما هو إلاّ أن أراها فجاءة فأبهت لا عرف لديَّ ولا نكر
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها كما قد تُنسّي لبَّ شاربها الخمر
وقد زرتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر
تكاد يدي تمتد اذا ما لمستها ويثبت في أطرافها الورق الخضر
وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلّلهُ القطر

فهذا الشاعر لا ينظر في دواوين الشعراء كي يرى ماذا يقال في وصف هذه العاطفة وكيف يقال وانما ينظر في نفسه وأحاسيسها وهواجسها وما يعتري نفسه وجسمه من أثر العاطفة. ومن

شعراء هذه الطريقة بن الدمينة فان شعره يرق ويصفو ويكتسب من وجدانه وعاطفته أتماماً عذبة أنظر الى قوله : —

أرى الناس يرجون الربيع وانما ربيعي الذي أرجو نوال وصالك
أرى الناس يخشون السنين وانما سنيّ التي أخشى صروف احتيالك
لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك

والى قوله : —

وقد زعموا ان المحب اذا نأى سيسلو وأن النأي يشفي من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود

وقوله : وإني لأستحيك حتى كأنما عليّ بظهر الغيب منك رقيب
بنفسي وأهلي من اذا عرّضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب

وهذه الأبيات الأخيرة انما هي مثل من شواهد الخبرة بعلم النفس التطبيقي التي اكتسبها هؤلاء الشعراء لكثرة تأملهم في صفات النفوس وهذه الخبرة بالنفس تقل في شعر المتأخرين أو تعدم إلاّ ماكان مأخوذاً بالمحاكاة عمن قبلهم: ومن شعراء هذه الطريقة أيضاً جميل بن معمر انظر الى قوله : —

لقد قلتُ في حبي لكم وصبابتي محاسن شعر ذكرهن يطول
فإن لم يكن قولي رضاك فعلمي لعمر الصبا يا بثنُ كيف اقول
فما غاب عن عيني خيالك لحظة ولا زال عقلي والخيال يزول

وقوله : — ومما شجاني انها يوم أعرضت تولت وماء العين في الجفن حائر
فلما اعادت من بعيد بنظرة اليّ التفاتاً اسلمتهُ المحاجر

على مثل هذه المشاهد النفسية وأمرها كان يعتمد هؤلاء الشعراء لا على المبالغة والتشبيهات البعيدة فكان شعرهم على سهولة وبساطة مشاهداتهم أوقع في النفس من المبالغة والتشبيهات البعيدة وانظر الى نصيب كيف يستخدم ما يشاهد من حياة الطيور لتصوير عاطفته في قوله : —

كأن القلب ليلة قيل يُغدَى بليلى العامرية او يُراح
قطاة غرّها شَرَكٌ فباتت تُجاذبُهُ وقد علق الجناح
لها فرخان قد تُركا بوكر فشبها تُصفّقُهُ الرياح
اذا سمعا هبوب الريح فضّا وقد أودى بها القدر المتاح

وللشاعر كُثَيِّر اشعار عذبة تدل على وجدان ولو انهُ كان يتهم بادعاء العاطفة انظر الى قوله:

وأدنيتني حتى اذا ما ملكتني بقول يحق الحق سهل الابطح
تناهيتِ عني حين ما لي حيلة وغادرتِ ما غادرتِ بين الجوانح

وقولهُ في تائيته الكبيرة:

وقلت لها يا عزّ كل مصيبة اذا وُطِّنتْ يوماً لها النفس ذلت
وأني وتهياي بعزة بعدما تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوّأ منها للمقيل اضمحلت

وقوله: — كريم يميت السر حتى كأنهُ اذا استخبروه عن حديثك جاهلهُ
ويرتاح للمعروف في طلب العلا لتحمده يوماً عند ليل شمائله

وفي هذه الابيات ايضاً خبرة بصفات النفوس ودراسة سيكولوجية تصور لأثر الحب في النفوس الغانية. ومن اشعر العذب الشهي قول ابي بكر الزهري: —

ولما نزلنا منزلاً طلهُ الندى ... ابيقاً وساقاً من النَّوْرِ حانيا
أجدَّ لنا طيبُ المكان وحسَّنهُ منىً قضينا فكنتِ امانيا

وقول الحارثي: —

منىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلاَّ فقد عشنا بها زمناً رغدا

وكأنما كانت هذه الطريقة عاصفة اشترك في اثارتها المرقش وعروة بن حزام وابن الدمينة وأبو صخر الهذلي وجميل بن معمر وعمر بن ابي ربيعة (وان كان شعره اقرب الى اللهو والعبث) وكثيِّر وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح والعرجي والمخزومي وابو دهبل وابن الرقيات وابن الطثرية وابن ميادة والاحوص ونصيب والمجنّل وذو الرمة والابيرد وابو حية النميري وتوبة ابن الحميّر والهذلي ومزاحم ووضاح اليمن وعروة بن اذينة وغيرهم وامتدت الى عصر الحسين ابن مطير والعباس بن الاحنف. ولم ينعدم شعر العاطفة والوجدان بعد ذلك فانا نرى شعراء الصنعة امثال بشار وابي نواس ومسلم وابي تمام لهم بجانب مجونهم نسيب وجداني رقيق ولكنهُ قليل. وقد كان البحتري ذا مزاج فنيّ يشبهُ مزاج المثل الذي يتملكه ما يمثل من الاحاسيس. ومن اجل ذلك كان لهُ نسيب رقيق عذب. ولابن الرومي نسيب وجداني صادق ولكنهُ قليل[1] وكان الشريف الرضي ذا وجدان فجاء نسيبه وجدانيّ النزعة وحاكاه مهيار ثم اعتمد الشعراء

(١) من نسيب ابن الرومي الرائع قوله:

اعاتبها والنفس بعد متوقة اليها وهل بعد العتاب تداني
كأني فؤادي ليس يشفي غليله سوى ان يرى الروحين يلتقيان

بعد ذلك على المغالاة والتشبيهات البعيدة او الزخارف. وكان اكثر شعرهم محاكاة لمعاني من سبقهم ولم يخلف شعراء الصوفية مجموعة شعر تعين على كما كنا نقتضر ولكني اظن ان محيي الدين بن العربي والسهروردي وابن اسرائيل وابن الفارض لو تقدم بهم الزمن او لو تأثروا بوجدان الشريف الرضي واسلوبه لكان شعرهم ارقى منزلة فان فيهم طبع الشعراء ومزاجهم ولكن تعوزهم قوة الاداء وفخامة الاسلوب وحسن الاختيار. فقصيدة السهروردي المشهورة التي مطلعها

ابداً تحنُّ اليكمُ الارواح ووصالكم ريحانها والراح

تبدأ مبدأ رائعاً ولكنها تفتر متأثرة بطريقة المتأخرين من ضعف في الاداء

وقد اشتهر بهاء الدين زهير شهرة لا تناسب قيمة شعره فالهُ قوة في الأداء ولا فخامة ولا روعة في الأسلوب ولا وجدان عميق وأنغامه أنغام لفظية رخيصة مثل قوله : —

أنا بالعاذل أهوى أنا بالعاذل ألعب

وأحسن قصيدة في النسيب قالها شعراء الأندلس والمغرب هي قصيدة ابن زيدون النونية التي يقول في مطلعها : —

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيب لقيانا تجافينا

وهي تجمع بين علو الصنعة وصفاء الوجدان فليس لمحمد بن هانئ الأندلسي في النسيب ولا لابن حمديس ولا لابن خفاجة قصيدة تدانيها في هذه الصفات. وهذه القصيدة تذكرني بما يحكي عن بعض الطيور التي اذا حان حينها جمعت كل قوى روحها واطلقتها في تغريدة قبل موتها. ونسيب ابن زيدون على العموم اكثر وجداناً من نسيب الآخرين وان كان قد برزه الآخرون في صفات أخرى فبزه ابن خفاجة وابن حمديس في الأوصاف وربما كان قد برزه ابن هانئ الأندلسي في الأسلوب الخطابي وإن لم يكن تحت أسلوب ابن هانئ الاندلسي الخطابي دائماً معنى او مزية . على ان لمحمد بن هانئ قصائد رقيقة يتغنى بها مثل قصيدة (فتكات طرفك أم سيوف أبيك) وقصيدة (قمر في مأتم على العشاق)

أما نسيب ابن سهل فهو نسيب رقيق يتغنى بعضه ولكنهُ ليس فيه روح العاطفة وزوبعتها الشعرية ولا يحاول قائله الاناقة في الاداء التي تزيد النسيب عذوبة وبعض الاناقة يفعل ذلك كما أن بعضها يثقل الشعر . ومما يُتغنى به قوله (سل في الظلام أخاك البدر عن سهري)

ومن القسم الذي فصلناه يتضح انهُ ليس من المحتوم ان يطالب الشاعر بعشق كي يجيد النسيب ولكنهُ مطالب بوجدان يصدح ويعبر عن نواحي تلك العاطفة وبمزاج فني سليم وبصيرة سيكولوجية تمكنهُ من فهم أحاسيس النفس ومن تصويرها